

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الحادية والتسعون

## مالك بن أنس (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الحادية والعشرين ، إنه الإمام مالك بن أنس.

لقد ورث الإمام مالك (رحمه الله) لهذه الأمة علماً جماً ، ومع هذا العلم الذي نفع الله به المسلمين، سواء في الحديث أو الفقه أو غيره ، فإنه أيضاً قد ورث للأمة أقوالاً جميلة وحكماً بديعة ينتفع بها من وعائها وأدرك معناها .

ولنستمع الآن إلى طرف من تلك الحكم البديعة ، حيث يقول : بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا وأتقى إلا نطق بالحكمة .

وفي تحذيره من مدح النفس يقول : إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه .

وفي هذا القول الجميل من مالك (رحمه الله) توجيه للشباب ، فإن منهم من يعجبه الحديث عن نفسه ، فإذا اجتمع بأقرانه ذهب يمدح نفسه بما فيها ، وما ليس فيها ، فذلك غرور بالنفس ومجانبة للأدب .

ولما للإمام مالك (رحمه الله) من سعة في العلم وعلو في الأدب ونشاط في العمل الصالح ، اكتسب محبة في قلوب الخلق ، فلهجت الألسن بالذكر الجميل له : يقول عنه ابن عيينه : ما ترك مالك على ظهر الأرض مثله .

وقال ابن سعد: كان مالك ثقة تبثا حجة عالما ورعا . وقال ابن وهب لولا مالك والليث لضللنا .

وقال الشافعي ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابا من موطأ مالك، قال الذهبي : هذا قاله قبل أن يؤلف الصحيحان .

ومع تميز الإمام بالعلم فقد تميز أيضاً بالأدب ، فتعلم الناس منه الأدب الكثير ، قال ابن وهب ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه .

ومع هذا فقد كان الناس يقصدونه للتعلم منه والأخذ عنه ، قال أبو مصعب كانوا يزدهمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزحام وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا قائلون برؤوسهم هكذا وكانت السلاطين تهابه وكان يقول: لا، ونعم، ولا يقال له من أين قلت ذا .

وعن ابن مهدي قال ما رأيت أحدا أهيب ولا أتم عقلا من مالك ولا أشد تقوى .

قال مصعب بن عبد الله في مالك:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة      والسائلون نواكس الأذقان  
عز الوقار ونور سلطان التقى      فهو المهيب وليس ذا سلطان

ولم تكن المهابة في قلوب الناس للإمام مالك (رحمه الله) لكون ذا مال أو رجل أعمال ، ولا لمركزه السياسي أو منصبه الوظيفي ، بل لما جعل الله في قلبه من العلم النافع، والطاعة لله ولرسوله .

ألا فليدرك شباب الأمة ممن يتطلعون إلى المكانة في قلوب الناس، أن ذلك لا يدرك كما أسلفت بالأموال والمناصب ، ولا يدرك بالهيئات والحركات ، بل يدرك بالتقوى والورع والعلم النافع .

وكان الإمام مالك (رحمه الله) يدرك أن الناس يختلفون فيما وهبهم الله من القدرات فكل يعمل بما عنده من المواهب . قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد هذا كتبه من حفظي وغاب عني أصلي إن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الأنفراد والعمل فكتب إليه مالك إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الجهاد فنشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح لي فيه وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

ومن أقوال مالك (رحمه الله) التي أوجهها للشباب خاصة ، قوله عن نفسه : ما جالست سفيها قط .

هكذا من أراد مصلحة نفسه فليبعد عن مجالسة السفهاء ، فالسفيه هو ضعيف العقل ، الذي لا يدرك مصالحه ، وهو الذي يضر نفسه ويضر غيره ، وهو الذي لا يعرف للمجلس حرمة ولا للجلوس حقاً . وكم أضاع بعض الشباب نفسه ووقته بمجالسة السفهاء والبعد عن الصلحاء .

وفي صحبة الأخيار ومجالستهم ، والبعد عن الأشرار ورفقتهم حذر قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِلَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكَبِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ تَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً)) أخرجه البخاري .

لذا فإنه يلزم الشاب أن يفكر فيمن يصاحب ويجالس، فإنه شديد التأثير بجليسه ، فالمرء على ين خليله ، فلينظر أحدكم من يخال . فليختار الجليس الذي ينتفع منه في دينه ودنياه ، وليبعد عن الجليس الذي يضره في دينه ودنياه .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا  
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة  
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .